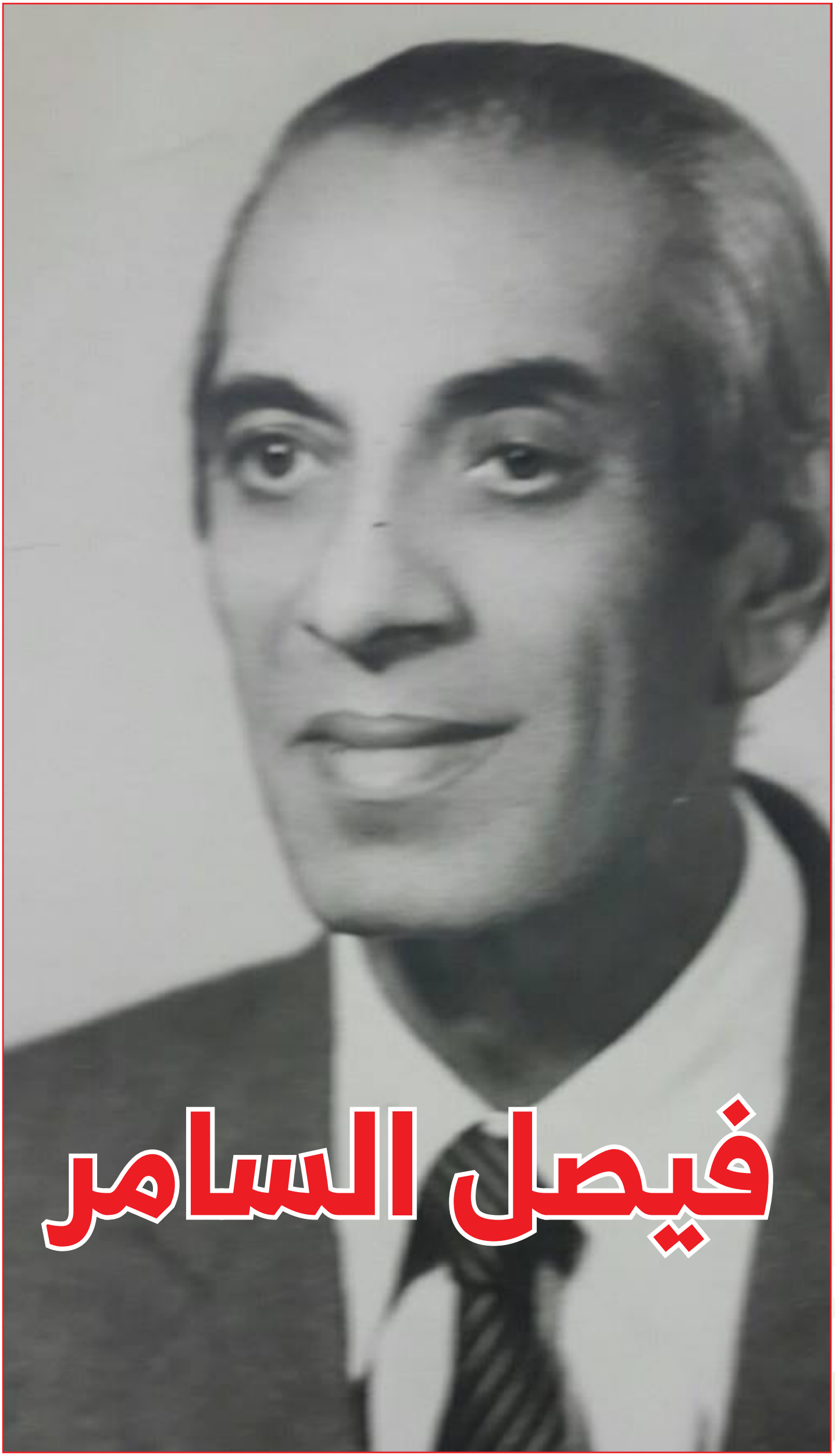

فيصل السامر

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
www.almadasupplements.com

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (5983) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (11) أيلول 2025

المؤرخ المناضل فيصل السامر في ذكراه

علي عجيل منهل

فيصل الســامر-- ارتبط اسمه -- بثورة الزنج-- فعندما يذكر-- اســمه-- تذكر معه --ثورة الزنج --وعندما تذكر ثورة الزنــج - يذكر كتاب-- فيصل الســامر - كونه أهم مصدر كتب عن هذه الثورة وبرغم مرور- ستة وخمسين عاماً -على صدوره -إلا انه الكتاب الأول في دراسة هذه الثــورة باعتراف جميــع الباحثين العراقيين والعرب والمستشرقين

وهو –علم من أعلام المدرسة التاريخية المعاصرة، -- وصاحب منهج واضح في كتابة التأريخ. – تتلمذ على يديه أجيال كثيرة --، فتعلمت منه الصدق والتسامح والمحبة والتواضع والبساطة وحب العلم والوطن والخير.

مؤرخ لامع لأنه – في ما كتب – كان شجاعاً منصفا صادقا، وليست هذه الصفات بغريبة عن مناضل وطني كان يرى نفسه ليس راوية للأحداث، بل طرف نشيط في تفسيرها وبوعي، لأن المؤرخ الموضوعي – حسب رأيه – فضلا عن واجبه أن يكون من القوى المنظمة للحياة الحاضرة ومساعداً على دفعها الى الإمام، فأنه – أي المؤرخ – مدعو أن يسلط الضوء على الحلقات والعلامات الدالة في الحضارة، كي يكون التاريخ حافزاً من حوافز نضالنا ونهوضنا الجديد.

كتابه – ثورة الزنج– مرجع راق على الصعيد العالمي، حتى استلهمت منه أعمال أدبية عدة، من أشهرها مسرحية بالعنوان-- نفسه — لمعين بسيسو.

والكتاب هو الدراسة الاكثر رصانة وتأصيلا من حيث دقة المصطلح -- لاسيما العنوان --، ومن حيث جدة الطرح وشموليته عن الثورة، بل هو الدراسة الوحيدة عنها حتى وقت صدورها.

وهو رؤية للثورة من زاوية جديدة، كما يقول المستشرق اليوغسلافي ألكسندر بوبوفتش...

الدكتور فيصل السامر – واحد من الذين وظفوا جل اهتمامهم وتفكيرهم-- في خدمة قضايا شعبهم --وقد نظر إلى --التاريخ-- بهذه الكيفية العلمية في – ثورة الزنج– و-- تاريخ الدولة الحمدانية– واحسب أنه يمتلك نظرة نقدية الى التاريخ ---كالنظرة النقدية ---التي يراها —الدكتور طه حسين --وربما قد تزاملا ردحاً من الزمن.

الدكتور فيصل السامر هو الذي أنشأ-- نقابة المعلمين --وكان – أول رئيس فخري لها.

والدكتور فيصل السامر يمكن اعتباره مثقفا من طراز –غرار كرامشي.

وفيصل السامر هو الأديب والباحث والمثقف الموسوعي الذي رفد المكتبة العربية والعراقية بعشرات البحوث وأبرزها (ثورة الزنج). هذا الكتاب الذي فتح الباب أمام الدارسين والباحثين في الحضارة العربية والإسلامية على أساس المنهج العلمي.. –..

ثورة الزنج –والدكتور فيصل السامر

موضوع --ثورة الزنج --في التاريخ العربي عالجه –كثيرون منهم جرجي زيدان،– وبطرس البستاني –وفيليب حتي-- وعبد العزيز الدوري --وغيرهم وكلهم كانوا غير عالمين او متناسين الحقائق، غير ان ماجاء في كتاب الدكتور فيصل السامر – ثورة الزنج-- كان الاكثر دقة من اي من الآخرين. ذلك لان دراسة الدكتور السامر كانت مجردة دون اي اعتبار تاريخي او ديني او عرقي–وانما التركيز على الحقائق التاريخية –.

كان الدكتور السامر تقدمي الفكر لهذا جائت دراسته عن ثورة الزنج رصينة لا انحياز فيها ولا عبث.– اختاره عبد الكريم قاسم وزيرا للاعلام –مات في وقت مبكر من حياته. لكنه –خلف دراسة موضوعية --رصينة عن ثورة الزنج – تذكرنا به.

كثيرون من المستشرقين كتبوا وحللوا ثورة الزنج بتجرد موضوعي ومنهم على الاخص --نولدكه– اما المؤرخون القدامى المعاصرون للحدث الذين سجلوا وقائع ثورة الزنج فهم ---الطبري –والمسعودي —والجاحظ --والذي قيل عنه انه كان اسودا في – كتاب فخر السودان على البيضان–.

في القرن الثالث الهجري كانت الدولة العباسية في اعلى قوتها وكانت تجارة العبيد في اوج عزها، كانت عصابات ممتهنه تغير على اوطان السود في البلدان الافريقية وخاصة السودان ويأسرون الرجال والنساء ليبيعونهم في اسواق النخاسة.

وكانت تجارتهم تدر ذهبا فانتشر الزنج في الحقول كعمال بلا اجر وكانوا يشدونهم بالزناجيل ويسوقونهم مشينا بالسياط في قوافل الى البصرة وغيرها من الاقطار والامصار. وكانت هذه التجارة تشكل حجما كبيرا لمداخيل العصابات القائمة في ذاك الزمان.

والجدير بالذكر ان ---امتلاك العبيد كان سائدا في البصرة -- حتى العصر الحديث فى العراق – –فقد كان --آل السعدون –وباش اعيان – والنقيب-- – يحتفظون بالعبيد في قصورهم وبعض-- ابناء السيد طالب النقيب-- كانوا من ام سوداء.

وفي البصرة القديمة كانت تقوم محلة يسمونها-- محلة العبيد --وهم بقايا عهد العبيد والرقص– كان الكويتيون والسعوديون قبيل عهد النفط يمارسون امتلاك العبيد.

وكانوا في نلك العهود لايتقاضون اجرا بل مجرد الاسكان واطعامهم فضلات السادة من الطعام والخلقان من الملابس. قامت ثورة الزنج زمن العباسيين على ارض السواد وهي من لواحق البصرة بين غابات النخيل في – جيكور–، قرية الشاعر بدر شاكر السياب وحيث تمتد غابات النخيل حتى--ابي الخصيب– ثم --الفاو– الذي تولى صدام المهووس قطع رؤوسها في الحرب السوداء مع ايران –.

كانت – جيكور– تسمى في التاريخ --(المختارة) ----العاصمة التي قامت به--ا ثورة الزنج --برآسة --علي بن محمد صاحب الزنج حتى المؤرخين المعاصرين للانتفاضة كانوا يسمون قائدهم --بصاحب الزنج-- وليس رئيس الزنج، الكلمة كانت دائرة غير مناسبة لان الزنجي لا يمكن ان يكون رئيسا بل مملوكا او عبدا في التاريخ.

ومن رؤسائهم ايضا --سليمان بن جامع مولى --بني حنظلة وآخرون قاموا ضد الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتمد واخيه الموفق بسبب الظلم الذي كان قائما نحوهم. قاموا بانتفاضات ومعارك طحنت جنوب السواد لعشرين عاما دوخت الدولة العباسية --- كما فجرت انتفاضات اخري في المناطق الاخرى بمنطلقات فكرية وسياسية مختلفة وخاصة ثورات الهاشميين، فقد ثارت الكوفة وطبرستان وامتدت الى جرجان ثم ثارت الري – وثارت قزوين.

وكان أخطرها الثورة التي قام بها-- رئيس الزنج علي بن محمد الذي كان شاعراً وعالماً،-- يمارس تعليم الخط والنحو والنجوم ثم سجن لانه كان قريبا من الخليفة المنتصر بالله الذي سممه الجندرمة الأتراك ثم حدث تمرد من فرقة– الجند الشاكرية– في بغداد، شارك فيه العامة، فاقتحموا السجون فأطلقوا سراح علي بن محمد فيمم شطر البصرة. وكان الزنج --يتولون اشق الاعمال في البصرة المليئة بالرقيق يعملون في الارض السباخ ويجمعون الملح ويقومون بالعمل الشاق في ظروف قاسية غير انسانية، تحت اشراف وكلاء غلاظ قساة، لحساب ملاك الأرض من أشراف العرب ودهاقنة الفرس وكان بعضهم من فقراء العرب الذين يسمونهم – –الفراتين--. يذكر الطبري – أن صاحب الزنج ادعي أنه عرف ما في ضمائر أصحابه وما يفعله كل واحد منهم وأنه سأل ربه بها آية أن يعلم حقيقة أمره فرأى كتابا يكتب له وهو ينظر إليه على حائط ولا يرى شخص كاتبه– -- وبعد أن استقر سنة واحدة في مدينة السلام توجه للبصرة مرة أخرى، يدعي-- حسن الأمين --إن البطر والبذخ الزائد -- الذي عاشه أهل البصرة كان سببا في ظهور هذه الحركة.

ويبدو أن الأمة التي اعتادت على ترف الحكام وظلمهم أصحبت هي الأخرى تعاني من هذه الحالات، وعلى أساس ذلك يبدو أن ثورة الزنوج كانت ثورة على-- وضع الأمة الفاسد– قبل أن تكون على الحكام الظالمين.

انها ثورة قام بها الزنج من اجل --ازالة التفرقة العرقية واللونية التي كانت سائدة آنذاك –وان كان قد اشترك فيها الموالي الفرس وانصار آل البيت وكان العباسيون في أوج تدهورهم بتحكم العسكر المغول والخصيان فاصبح قائد الجيش هو الخليفة وعندما حاول الخليفة المعتمد الهروب من سامراء الى مصر، ألقوا القبض عليه وأعادوه الى قصر الخلافة سجينا–حتى قيل (خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول الببغا).

يدعي سيد أمير علي في كتابه مختصر تاريخ العرب أن صاحب الزنج أباح لأتباعه أرذل أنواع الخلاعة والفجور فاسمي صاحب الزنج بالخبيث. انه النفاق والكذب على التاريخ، ويقول متبجحا أن صاحب الزنج انضم تحت لوائه العبيد من مختلف أنحاء البلاد فقوي بهم ساعده وأعلن نفسه سيدا على كلدة والأحواز.

. لا يخلو التاريخ من إنصاف، حيث صُنفت في شأن السُّمر ودورهم الحضاري عدة كتب منها (تنوير الغبش في فضل السُّودان والحبش) لابن الجوزي و (أزهار العروش في أخبار الحبُوش) لجلال الدين السيوطي و (الطراز المنقوش في محاسن الحُبوش) لمحمد عبد الباقي البُخاري وغيرها.

قيل ان الجاحظ البصري كان اسودا وهو ما رواه ابن اخته (كان جد الجاحظ أسود) كما ورد في (تاريخ بغداد)، وتجده معترفاً عندما صَنف رسالته -- فضل السودان على البيض.

هكذا كان يرى د. فيصل السامر واجبات المؤرخ. وفي رأيه أيضاً انه –اذا كان من واجب المؤرخ أن يكون بين القوى المنظمة للحياة الحاضرة والمساعدة على دفعها الى الامام، فأن مؤرخينا مدعوون الى ان يسلطوا الضوء على الحلقات المضيئة والعلامات الدالة على حيوية الحضارة العربية، كي نجعل التأريخ حافزاً من حوافز نضالنا ونهوضنا الحديث".

كان يرى –على المؤرخين ان – تبقى الحقيقة ناصعة ولا تمر التواريخ بلحظات زيف.. فأي نبع بصري حمل لنا هذا الوطني من اقصى النبل والوفاء لشعبه وتاريخه.

كان د.السامر من العلامات الفارقة في عالم البحث، فمسيرة تنطلق من "ثورة الزنج" مرورا بعشرات البحوث والتحقيقات والدراسات والترجمات، يبدو من الضروري الوقوف عندها واعادة طبعها، خاصة وان النظام المقبور صادر العديد منها ابان حكمه المباد.

د. السامر بمنجزه ومقولاته يثبت طريقته العلمية في البحث. فحين يدعو المؤرخين الى عدم الاكتفاء برواية الماضي، فانما يدفعهم للتغيير حتى يكونوا الطرف النشيط في هذه المعادلة، إيمانا منه بان المثقف لا يكون مثقفا عضويا بمنجزه، انما باشتغاله وسط الأحداث التي يدفعها بادواته الى أمام.

كان السامر وطنيا حرا شجاعا، حاربته الانظمة التي تعاقبت على حكم العراق بدءا من الملكية الفاسدة، – بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، حيث شغل السامر عام ١٩٥٩ منصب– وزير الإرشاد.-- بعدها تواصلت رحلته مع الاضطهاد غداة انقلاب شباط الاسود ١٩٦٣، ليغادر العراق ويحط الرحال في تشيكوسلوفاكيا، ويصبح عضوا فعالا في "اللجنة العليا للدفاع عن الشعب العراقي" التي ترأسها الجواهري. وقد اسقط عنه الانقلابيون-- الجنسية العراقية لغاية --عام ١٩٦٩، حين عاد إلى الى بلدة

لد في البصرة (١٢ / ١ / ١٩٢٤).

• حصل من جامعة القاهرة على البكالوريوس (١٩٤٧)، الماجستير (١٩٥٠)، الدكتوراه (١٩٥٣).
• أحد مؤسسي مجلة " الثقافة الجديدة " التي صدر عددها الاول في تشرين الاول ١٩٥٣.
• منذ أوائل الخمسينات من القرن الماضي أسهم في حركات المعلمين واضراباتهم، وهو من الداعين لتأسيس نقابة لهم. ولما تشكلت أول نقابة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، صار أول رئيس لها.
• في بداية الخمسينات . أيضا . أسهم بفعالية في حركة السلم التي انطلقت آنذاك، وحضر مؤتمرها السري الأول عام ١٩٥٤.
• عام ١٩٥٤ أصبح مرشح الجبهة الوطنية الانتخابية عن البصرة الى البرلمان.
• أيلول ١٩٥٤ فصل من الخدمة مع الأساتذة والمعلمين والموظفين التقدميين، بسبب مواقفهم المناوئة لحلف بغداد والنظام الملكي.
• تسنم منصب وزير الارشاد (الثقافة والإعلام) في ١٣ / ٧ / ١٩٥٩.
• ابان استيزاره، أسس وكالة الأنباء العرقية، والفرقة السمفونية، ودار الأوبرا.
• بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ اضطر للإقامة مع أفراد أسرته في براغ.
• عمل أستاذا في جامعة براغ، وفي أكاديمية علومها. وحصل على عدة أوسمة تقديرية لكفاءته العلمية.
• أسقطت حكومة انقلاب شباط الجنسية والجواز عنه وعن أفراد أسرته.
• عرضت عليه الحكومة التشيكية جنسيتها له ولأسرته، فاعتذر عن قبولها.
• عام ١٩٦٩ عاد مع أسرته الى الوطن.
• آثر التفرغ للبحث العلمي والتدريس والإشراف على طلبة الدراسات العليا.
• حصل على لقب ما بعد الأستاذية . أستاذ كرسي.
• توفي في لندن (١٤ / ١٢ / ١٩٨٢

· عن الحوار المتمدن

فيصل السامر وتطوير المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة

د.إبراهيم خليل العلاف

مؤرخ، ومرب عراقي، أستاذ جامعي، وسياسي، وباحث متميز، كان له، رحمه الله، حضور متميز على الساحة الثقافية العراقية المعاصرة. كما كان لاسهاماته في مجال تطوير الدرس والفكر التاريخيين في العراق منذ الخمسينيات من القرن الماضي اثر كبير في رفعة شأن المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة، عرفته عن كثب حينما كان أستاذاً ورئيساً لقسم التاريخ بكلية الآداب / جامعة بغداد مطلع السبعينيات من القرن العشرين..

وقد حظي بحب طلبته وزملائه، فكان بحق عَلَماً من أعلام العراق المعاصر، وصاحب منهج واضح في كتابة التاريخ، تتلمذت على يديه أجيال كثيرة، وتعلمت منه الصدق، والتسامح، والمحبة، والتواضع، والبساطة، وحب فعل الخير مع من يستحق ومن لا يستحق.. أتذكر بأنني كتبت عرضاً لكتابه الموسوم: " الأصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الأقصى " والذي صدر في أواخر سنة ١٩٧٧ في جريدة الجمهورية (٩ كانون الأول ١٩٧٧)، وعندما قرأه حرص على تقديم الشكر لي، وحثني على مواصلة هذا النهج في الكتابة واتفق معه حينذاك أستاذي الآخر المرحوم الدكتور عبد القادر أحمد اليوسف. ولد الدكتور فيصل جرئ السامر في البصرة سنة ١٩٢٥، وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها، وعندما أحرز درجات عالية في امتحان (البكالوريا) قبل في كلية الملك فيصل ببغداد،وكانت آنذاك (مدرسة ثانوية خاصة للمتفوقين والموهوبين) وبعد تخرجه أوفد إلى مصر فانتسب إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة وحصل منها على شهادتي (الليسانس) و (الماجستير) وكانت رسالته للماجستير بعنوان " حركة الزنج " وقد طبعت أكثر من مرة أولها ببغداد سنة ١٩٥٤ وآخرها ببيروت سنة ١٩٧١. وفي سنة ١٩٥٣ أكمل الدكتوراه من الجامعة ذاتها وكانت رسالته بعنوان: " الدولة الحمدانية في الموصل وحلب "، وقد طبعت مرتين الأولى في بغداد سنة ١٩٥٣ والثانية في القاهرة سنة ١٩٧٠. ويقع الكتاب في جزءين. عمل الدكتور فيصل السامر بعد حصوله على الليسانس والماجستير مدرساً في دار المعلمين الابتدائية، وفي ثانوية البصرة، ثم انتقل ليصبح مدرساً لمادة التاريخ الاسلامي في دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً) ببغداد.

اتجه إلى العمل السياسي وكان يسارياً وتقدمياً في تفكيره وتوجهه،وليس ثمة دلائل على انتمائه إلى الحزب الشيوعي، كما أشيع لكن مواقفه المناوئة للحكم الملكي ولارتباطات قادة العراق آنذاك ومنهم نوري السعيد بالغرب ومشاريعه كحلف بغداد أدّت إلى أن يفصل من الخدمة الحكومية مع عدد من زملائه ولم يكتفِ النظام السياسي السائد آنذاك بفصله بل ألحقه هو وزملاءه بالخدمة العسكرية الالزامية وأدخل دورة ضباط الاحتياط العاشرة التي خصصت للمفصولين سنة ١٩٥٥، وبعد تسريحه اضطر للسفر إلى الكويت وقام هناك بالتدريس في بعض معاهدها التعليمية ولم يعد إلى العراق إلاّ بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بها الضباط الأحرار بمؤازرة الأحزاب السياسية تحت راية ما كان يسمى بـ (جبهة الاتحاد الوطني) التي تأسست سنة ١٩٥٧، وقد أصبح الدكتور السامر، رحمه الله، من رجالات (العهد الجديد) فتسنم مناصب عديدة منها (مدير التعليم العام) في وزارة التربية (المعارف)، وفي سنة ١٩٥٩ اختاره الزعيم (العميد) الركن عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة رئيس الوزراء وزيراً للارشاد (الاعلام).. وعندما يذكر السامر، يتذكر الناس في العراق دوره في إنشاء وكالة الأنباء العراقية، ودوره في تأسيس نقابة للمعلمين، وقد أصبح أول رئيس لهذه النقابة. وبعد ٨ شباط ١٩٦٣ ترك السامر العراق وذهب إلى (جيكوسلوفاكيا) السابقة حيث عمل أستاذاً في أكاديمية العلوم في براغ وبعدها عيّن سفيراً للعراق في أندونيسيا. وفي تموز ١٩٦٨ عاد إلى العراق والتحق بأعضاء هيئة التدريس بكلية التربية، ثم أعيد إلى قسم التاريخ بكلية الآداب ليعمل أستاذاً، وقد انتخبه زملاؤه رئيساً للقسم، وبقي كذلك سنوات، ثم تفرغ للبحث العلمي والتدريس والاشراف على طلبة الدراسات العليا.

ليس من السهولة إحصاء ما كتبه وترجمه وحققه السامر من كتب ودراسات وبحوث باللغتين العربية والانكليزية، فنتاجه العلمي كبير، شكلاً ومضموناً، لكن التوثيق يقتضي منّا أن نشير إلى أن من أو اصدارات السامر كتاب نشر سنة ١٩٤٨ بعنوان: " صوت التاريخ ". وضمَّ الكتاب موضوعات عن أثينا والديموقراطية، والاسلام، والحركة البروتستانتية، والثورة الفرنسية. وفضلاً عن رسالتيه للماجستير (ثورة الزنج) وللدكتوراه (الدولة الحمدانية في الموصل وحلب)، له من الكتب: ١ . الأصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الأقصى (بغداد، ١٩٧٧). ٢ . العرب والحضارة العربية (بغداد، ١٩٧٧). ٣ . ابن الأثير (بغداد، ١٩٨٣). ومن بحوثه المنشورة: ١ . موقفنا من المدنية الغربية (الكويت، ١٩٥٩). ٢ . السفارات العربية إلى الصين في العصور الوسطى الإسلامية (بغداد، ١٩٧١). ٣ . ملاحظات في الأوزان والمكاييل وأهميتها (بغداد، ١٩٧١). ٤ . التسامح الديني والعنصري في التاريخ العربي الاسلامي (بغداد، ١٩٧٢). ٥ . الفكر العربي في مواجهة الفكر الغربي (بغداد، ١٩٧٢). ٦ . حركة التجديد الديني والعلماني في اندونيسيا (بغداد، ١٩٧٢)

· نشرت في المدى عام ٢٠٠٩

فيصل السامر المؤرخ الموضوعي العلمي الحيادي

شكيب كاظم

وأنت تنجز قراءة هذا الكتاب المهم، تتجلى أمامك الموضوعية والحيادية والدقة العلمية، التي يفتقر إليها كثير من المؤرخين والكاتبين في الشأن التاريخي، والسبب يعود إلى انحياز المؤرخ إلى فكر معين، ومحاولة إسباغه على نصوص التاريخ، أو محاولة تجميل الصورة، والسير على منهج عين الرضا عن كل عيب كليلة، مع أن منهج البحث العلمي يتطلب من المؤرخ ترك أفكاره جانباً، وتناول الحدث كما حصل من غير تجميل أو تقبيح، وهذا يدعوني للحديث عن دراسة التاريخ والكتابة فيه في عالم متغير ومتحول، ولا سيما منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وبروز ثورة الاتصالات، فإن التاريخ يجب أن تعاد قراءته، وليس إعادة كتابته، لأن إعادة الكتابة ولا سيما في الدول الشمولية تعني حجب حقائق التاريخ مع ما يتلاءم مع رأي الحاكم.

وأنا أنجز قراءة كتاب (ثورة الزنج) للمؤرخ العراقي الراحل الدكتور فيصل (جري مري) السامر (١٩٢٦-١٩٨٣) والذي هو في الأصل بحث لنيل درجة الماجستير من جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) عنوانه (حركة الزنج وأثرها في تاريخ الدولة العباسية). والغريب في الأمر أن الأستاذ السامر وهو المؤرخ يغفل تأرخة أي أمر، مما يوقع الباحث بله القارئ في الإبهام، فهو لا يذكر سنة نيله درجة الماجستير من جامعة فؤاد الأول، لكن نستنتج من اسم الجامعة، انه أكمل بحثه قبل يوليو ١٩٥٢، لأن بعد هذا التأريخ غير اسمها إلى جامعة القاهرة، كما لم يؤرخ الطبعة الأولى فضلا عن الثانية، لكن أيضاً نستنتج أن الكتاب نشر سنة ١٩٥٤ إذ قال في بداية مقدمة الطبعة الثانية: نشرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قبل سبع عشرة سنة نفذت (كذا وردت. وصحتها نفدت) خلالها نفاذا (كذا) تاما، واختفت من المكتبات، وقد شجعني على إعادة (ثورة الزنج) ذلك الإلحاح النبيل والمتواصل من جانب المعنيين بالموضوع". تراجع ص٧

لكن نجد إشارة تفيدنا أن الكتاب طبع ببغداد أول مرة سنة ١٩٥٤، إذن صدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٧١، مستفيدين من إشارة الدكتور السامر في بداية مقدمة الطبعة الثانية، ان الكتاب نشر قبل سبع عشرة سنة

قلة الدراسات الفكرية

دافع الأستاذ فيصل السامر للبحث في ثورة الزنج، دافع نبيل وعلمي، اذ وجد الساحة تخلو من دراسة للحركات الفكرية والاجتماعية مثل: المعتزلة وإخوان الصفا والدعوة القرمطية، وظلت التأرخة مقتصرة على الخلفاء والملوك والأمراء والسلاطين والحروب.

لقد وجدت الأستاذ السامر في بحثه المكثف هذا، بعد أن حذف منه كثيرا من التفاصيل غير الجوهرية- كما يذكر في مقدمة الطبعة الأولى- حين طلبت إليه دار القارىء طبع بحثه هذا، وإنه قد حور فيه قليلا، وإن كنت أتمنى إليه- وقد فات وقت التمني- أن لو نشره كما كتبه أصلا، احتراما لقدسية البحث، لكن لعله وقع تحت تأثير دار النشر التي قد يبهظها نشر كتاب ضخم، أقول لقد وجدت السامر الذي درس ظاهرة الرق منذ أقدم العصور، مروراً بالعصر الإسلامي وجلب الرقيق من أفريقية، الذين كلفوا بإزالة السباخ والملح عن الأرض في ظروف عمل قاسية، وهذا يدل على قسوة الإنسان ونهمه وجشعه، يتساوى في ذلك الغني والفقير، والأرستقراطي والمستَرَق، درس حياة علي بن محمد صاحب الزنج، وإعلانه الثورة ضد الخلافة العباسية عام ٢٥٥، واستمرت أربعة عشر عاماً، وهددت العاصمة، إذ وصلت جحافل الثوار إلى حدود العزيزية، نحو سبعين ميلا إلى جنوب بغداد، ولولا بسالة (أبو أحمد الموفق طلحة) شقيق الخليفة (المعتمد) وخططه الحربية المحكمة، والذي أصيب أثناء المعارك مرتين، لكان صاحب الزنج قد أجهز على الخلافة العباسية، وإذ لم يغفل الباحث السامر الوقوف عند مجريات المعارك ولا سيما المؤثرة منها، فإنه درس التنظيمات الإدارية لدولة الزنج على الرغم من قصر أعوامها، واستعار الحرب ابانها، واتخاذه مدينة سماها (المختارة) عاصمة لدولته، ولقد وقفتُ متأملا أسماء المدن التي بناها الزنج أيام سيطرتهم على الجنوب العراقي، وصولا إلى الكوت الحالية، والمدن هذه كلها تبدأ بحرف الميم: (المنيعة) و(المنصورة) و(الميمونة) فضلا عن (المختارة) التي اتخذوها عاصمة لهم!

المؤرخ المحايد

الباحث المنصف فيصل السامر، قد وضع آراءه جانبا، وجاء ليدرس ثورة الزنج بحيادية العلم ونزاهته، فهو لا ينزه طرفا على طرف آخر، ففي حين يشيد بعلي صاحب الزنج الذي كبح جماح جنده، حين أرادوا الاعتداء على أهل قرية يقال لها القادسية، لأن أحد أبنائها قتل زنجيا، فغضب هؤلاء وطلبوا من زعيمهم أن يسمح لهم بانتهاب القرية والانتقام من أهلها، لكنه رفض ذلك قائلا: لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم، وهل فعل القاتل ما فعل عند رايهم ونسألهم أن يدفعوه إلينا، فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالهم.

وحين نكث أهل قرية الجعفرية بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم بأن يقفوا على الحياد في حرب الزنج، ودخل هؤلاء يريدون الانتقام، نادى بهم زعيمهم" الا برئت الذمة ممن انتهب شيئا من هذه القرية أو سبى منها أحدا، فمن فعل فقد حلت به العقوبة الموجعة." تراجع ص٥٠

وفي الجانب الآخر يذكر الخلال الحميدة لأبي أحمد الموفق قائد الجيوش العباسية، التي أنهت حكم الزنج وزعيمهم علي بن محمد.

وإذ ذكر بعضا من التصرفات الحميدة لكلا الطرفين المتقاتلين فإن منهج البحث العلمي يلزمه الوقوف عند القسوة المفرطة لكلا الطرفين وعمليات السلب والنهب والاغتصاب والحرق وتشويه الجثث، ولا سيما لكبار القادة حين يقعون في الأسر، بعد ضربهم بالسياط وقطع الأيدي و الأرجل ومن ثمّ الحرق، لا يكاد ذلك يقتصر على طرف منهم، في حين قرأت بحثا مهما للمؤرخ اللبناني الدكتور أحمد عُلَبي، نشرت دار الفارابي ببيروت طبعته الثالثة سنة ٢٠٠٧، مع أن الطبعة الأولى من الكتاب نشرت ببيروت سنة ١٩٦١، درس فيه الدكتور أحمد عُلَبي (ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد) رأيت فيه الكثير من الثوريات والمناهج الثورية! وبعض ميل إلى الزنج.

الحياد والعلم يجعل الأستاذ السامر يذكر أن تجار الرقيق لم يقوموا باصطياد هؤلاء المساكين، بل كانوا يغرون رؤساء القبائل الزنجية؛ يغرونهم بالبضائع والسلع، فيقدمون لهم العبيد، فيا لقسوة الإنسان وفظاظته. تنظر ص١٩

وإذ اتهم المؤرخون القدامى ولا سيما الطبري؛ يتهمون الزنج بارتكاب الجرائم، فإن الأستاذ السامر يسوغ ذلك إن الزنج في حالة حرب، وقد وقفت الدولة وملاك الأراضي واهل المدن، ولاسيما أهل البصرة، التي قسا عليها الزنج، وقفت ضدهم، فلا بد أن يلجأ الزنج بدورهم إلى كل وسيلة تتيح لهم الانتقام. تنظر.ص٥٠

وإذ كان صاحب الزنج علي بن محمد يحرر عبيده كلما سيطر على قرية أو بلدة، فإنه كان يستعبد الناس ويبيعهم في سوق النخاسة بمبالغ بخسة. تنظر. ص٦٣

هو يقف من الثورات موقفاً محايداً، التي أراها تعني انفلات الناس، وإطلاق العنان للغرائز الجامحة كي تولغ وتوغل في القتل والاغتصاب، وأنا هنا أذكر الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ التي مانجا منها حتى رفات الملوك من آل بوربون فنبشوا قبورهم يستخرجون منها بعض المعادن من الأجساد المحنطة، فلم ينج منهم أحد سوى لويس الرابع لأنه مات بالكنكرينا! على الرغم من شعاراتها الكاذبة في الإخاء والحرية والمساواة، وهؤلاء الخوارج الازارقة يبيحون استرقاق أعدائهم من المسلمين، وقتل أطفالهم ونسائهم بوصفهم كفارا مارقين، والعجيب في أمر هؤلاء الخوارج أنهم ما قاتلوا إلا مسلمين وما قتلوا إلا المسلمين!

صاحب الزنج في أوجه وحضيضه

ومن دلائل قسوة الزنج وصاحبهم أنه إذا غزا قرية حمل رؤوس القتلى على البغال كي يفزع مرآهم الناس، لأن صاحب الزنج كان ينهج نهج الخوارج الأزارقة، الذين يبيحون قتل الأسير بوصفه كافرا؟! لكنه من الجهة الأخرى لم يكن يهاجم القرى المسالمة، ورفض مهاجمة قرية تسمى القادسية ما دامت لم تتعمد إيذاءه، في حين يذكر ابن كثير المؤرخ أن صاحب الزنج لم يتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحدا، إنما كان يريد أخذ أموال الخليفة العباسي. تنظر ص٨٦

وحين استولى الزنج على مدينة الأبلة عام ٢٥٦، اثر معركة عنيفة وقصيرة فقد قتل وغرق من أهلها الكثير، وذهبت بيوت المدينة المبنية من خشب الساج طعما للنيران، وما اكتفى الزنج وصاحبهم بالسيطرة على (الأبلة) بل وجهوا جهودهم في العام الثاني أي ٢٥٧ نحو البصرة غريمتهم الأولى وعدوتهم، ومثابة ملاك الأراضي الذين ساموا العبيد لدى تشغيلهم في أراضيهم؛ ساموهم الخسف والهوان، فينتقم هؤلاء من البصرة شر انتقام، واعمل العبيد المتعطشون للثأر سيوفهم في أهالي البصرة، ولعل من هذه الواقعة جاء المثل السائر (بعد خراب البصرة) أي أن السلطة العباسية توانت عن نجدة أهالي البصرة، وانجدتهم بعد خرابها!

وإذ ينقل لنا السامر نقلا عن المؤرخين الطبري والمسعودي وابن كثير وغيرهم وقائع الحرب الطاحنة تلك، فإنه ينقل ما فعله الخليفة (المعتمد) بالأسير يحيى بن محمد البحراني، الذي اسر في الأحواز، جلس يشاهد تعذيب يحيى وقتله، إذ ضرب بالسياط ثم خبط بالسيوف وذبح واحرق. تنظر. ص٩٦

وحين يستولي أبو أحمد الموفق شقيق الخليفة (المعتمد) على مدينة (المنيعة) عام ٢٦٧، المدينة المهمة معنويا لدى الزنج، فإنه يبيح لجنده في اليوم الثاني نهب المدينة، وقد وصف صاحب الزنج هذه الواقعة بقاصمة الظهر.

إن كتاب (ثورة الزنج) للمؤرخ العراقي الراحل الدكتور فيصل السامر، الذي أعادت دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد نشره بطبعة ثالثة سنة ٢٠١٣ في ضمن إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، بأسلوبه المركز، وواضح العبارة، الذي درس ثورة هؤلاء المساكين، واقفا عند سلبياتهم، ومشيرا إلى الإيجابيات، وفعل الأمر ذاته إزاء معسكر الخصم، ؛معسكر الدولة العباسية، ليعد كتابا علميا متوازنا، يكشف الحقائق ويقدمها للقارئ كما هي، محترما عقل القارئ ورأيه. وهذه هي مهمة المؤرخ النزيه.

· من ارشيف الراحل شكيب كاظم

فيصل السامر مؤرخا بارزا

د. حسين علي محفوظ

الروّاد والاوائل، هم السابقون الاولون، هم الاباء، كانوا جبال المعرفة، وابحر العلم كانوا اركان دور العلم، واساس بيوت الحكمة، كانوا عماد المعرفة، وعمد التعلم والتعليم، قل فيهم ما تشاء وهم ابدا دائما زينة ما يقول فيهم القائلون. كانوا سماء مدرارا، كانوا روضا معطاءا، كانوا سراجا وهّاجا،

كانوا شموسا شارقات، والشمس تستغني عن التعريف، ولايحتاج النهار الى دليل. كل شيء عندنا من عندهم، تلقينا منهم ما عندنا من معارف وعلوم، وآداب وفنون، وصنائع وصناعات. كان الاخ المرحوم فيصل السامر، من الطراز الاول، من الجيل الراحل، الذي لم يبق منه الاّ حسين علي محفوظ وعدة قليلة، لايجاوز تعدادهم الاصابع، فئة قليلة تحمل اثقال السنين، هذا قعيد البيت، وذلك جليس الدار، وذلك اسير العجز والمرض والكبر والشيخوخة والضعف والمشيب. رحلوا، ولن نراهم، اولئك هم وعاة الحكمة، وحفظة العلم، وسدنة التراث. كان فيصل السامر مؤرخا بارزا، تعتز به البصرة، ويعتز به العراق، ويعتز به الوطن العربي، ويعتز به العالم، كان استاذا مخلصا، برّا بالطلبة، وفيّا للاختصاص دارسا ومدرسا، وعالما ومعلما. كان في قسم التاريخ بكلية الاداب طالب اجنبي، اعجبنا جميعا برسالته الضخمة، التي زيّنها بالصور والوثائق المهمة، كنا نميل ان يمنح درجة الامتياز الاّ السامر سألته رحمه الله- فقال: ان الامتياز يمنح لرسالة تخلو من ايّما نقص ولايقال فيها لو زيد ولو نقص ولو عدل ولو بدّل. وكنت انبهه على اشياء ايام وزارته، كان مستمعا لها.. السامر- رحمة الله عليه- انموذج الدقة والالتزام والاتقان والضبط، ونظرة الى اصحابه ومعارفه واصدقائه، توضح ضروبا من آفاقه واعماقه. هذا، ولابد من ان اشير هنا الى اني ابتدأت في ١٩٥٠ باقتراح الذكريات الالفية والمئوية واليوبيلية، وقدمت في ١٩٦٠ اقتراح (تقويم الخالدين) من المشاهير والاعلام والكبار. اهتم رحمه الله بالاقتراح، واولاه مزيد العناية، ولكن، كان في الوزارة، من مانريد، ومن يجهل هذه الاشياء. ضوعت مناهج التاريخ، وتعددت مدارس المؤرخين، واختلفت الكتب والمدونات، وظلت عبارة (مرآة الزمان) التعريف الاقرب للتاريخ، وبقيت كتب التاريخ تدور حول الملوك والرؤساء والامراء والقادة وظلت الامم والشعوب والناس تحت ظلال الحكام، على ان في بعض التواريخ اشارات خفيفة احيانا الى هؤلاء والى العامة في بعض الاحايين. كان المرحوم السامر من القلة التي اهتمت بالناس في التاريخ وفي اطروحته التي عالجت الزنج من احوال المجتمع ما يعد التفاتا الى الناس، وخروجا على المقلدة من المؤرخين، واذا خالفنا السامر في بعض ما ذهب اليه، واذا عارضناه، في بعض ما اتى به، فان الاختلاف، كان يصحبه وفاق واعتناق، وصداقة ومحبة ومودّة واحترام. يؤسفني- وانا قعيد البيت، جليس الدار، منذ سنين- ان يحول الكبر والعجز دون سعادة الحضور، ويسرّني ان تنوب عني ابنتي العزيزة الفاضلة الكريمة، الآنسة الهام العاملي في القاء هذه الكلمة المتواضعة.

· كلمة القيت في حفل تأبين السامر ١٩٨٣

فيصل السامر العالم والانسان

جميل الجبوري

والحياة تجري لمستقر لها يبرز في مسيرتها الواضحة رجال افذاذ يتركون بصماتهم في الميدان وخطواتهم على الطريق وبشكل يدل ويؤشر ويقول. وهكذا يبقى من نفتقدهم من اولئك الصفوة في ذاكرة الاجيال حيث يعسر من بعد رحيلهم النسيان وتظل شخوصهم ماثلة في مسيرة الحياة تمنحها دفقا وفكرا ومثلا عليا.

واحسب ان الاستاذ الدكتور فيصل السامر من بين اولئك المتفردين، فقد رحل وترك اثار خطاه على الطريق، اصالة في الفكر وغزارة في المعرفة في اهاب رجل عف اللسان كريم اليد طيب القلب نبيل الخلق، يؤمن الى حد العبادة بالصدق والتسامح والكرامة والتضحية في سبيل المثل الخيرة والنبيلة. ولعلّي لا اذهب بعيدا اذا ما قلت ان الدكتور السامر كان من الاساتذة البناة، فكم من حملة الشهادات الرفيعة، من اين جاءت، تسنموا مناصب التدريس والاستذة ومرّروا السنوات الطوال يقدمون لطلابهم ماقالته الكتب المقررة دونما رأي يرتأونه ولافكرة تعن لهم ولاتعقيب ولاتعليق او حتى ملاحظة، لذلك لم يتركوا بعدهم اثرا في الدرب ولاشاخصا في المسيرة. والقلة من الصفوة هم اولئك الذين (قالوا لنا شيئا ومروا من هنا) وعندي ان الاستاذ السامر بينهم في المقدمة عبر المرحلة الزمنية التي عاشها وودعها مبكرا مأسوفا عليه بصدق وبمرارة. ولن انسى ما حييت ذلك الرجل الذي جسد بجدارة شخصية العالم المفكر والانسان الملتزم والاستاذ الواعي والمواطن النقي وحامل رسالة العلم الامين. ولئن كانت خسارتنا للرجال الصفوة من اولي العلم والمعرفة، وقد افتقدناهم تباعا بأمر واحد احد، بالغة وجسيمة، فهي في رحيل السامر مضاعفة، ذلك لانه انسان عرف طريقه وسلك دربه بأمانة، واخلص لشرف العلم واحترم الاصول ورعى الفروع، وترك بعد رحيله المبكر صفوة خيرة تؤمن كما آمن- بالصدق والنبل والوفاء، كما تؤمن بالعلم والمعرفة والنقاء. وتعود بين الذكريات الى سنين بعيدة خلت، واسترجع من الماضي ما لا ينسى. كان ذلك في بداية خريف عام ١٩٤٧م على وجه التحديد، عندما دخل صفنا المدرسي في دار المعلمين بالاعظمية، شاب اسمر انيق على ملامحه من الجد والوقار الشيء الكثير. وسرعان ما لفت انتباهنا، واثار اعجابنا، ونال احترامنا وتقديرنا وامتلك الافئدة، فلقد اتفقنا نحن الطلاب جميعنا على فضل الاستاذ فيصل السامر وسعة معرفته ودماثة خلقه ورصانته وتواضعه وطيب شمائله. كان يدرسنا مادة التاريخ، وكان شعاره المرفوع هو ان التاريخ اذ يدرس فانما لنستمد منه العبرة بكسر العين- لا لنسكب عليه العبرة بفتحها. وعلى هذا الهدي علمنا التاريخ، وزاد بأن فتح امامنا نحن طلابه رحبة في المعرفة والحياة وبذل جهدا مخلصا لكي يكون من كل منا رجلا يعرف متى يقول (لا) او (نعم) من منطلق ايمان صادق بالوطن وبعزة النفس وكرامتها. ولادته وبعد، وفي مجال تسجيل السيرة اذكر ان الدكتور (فيصل جريء السامر) من مواليد مدينة البصرة عام ١٩٢٥م، وقد درس فيها المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، ثم انتسب الى (كلية الملك فيصل) في الاعظمية ببغداد، تلك التي اسست انذاك كمدرسة ثانوية تستقبل الطلاب المتفوقين من جميع انحاء العراق، وقد قصد بعد تخرجه فيها مصر لينال من جامعة فؤاد الاول جامعة القاهرة شهادة الليسانس ثم الماجستير واخيرا الدكتوراه عام ١٩٥٣ بعلم التاريخ. وقد درّس مادة التاريخ الاسلامي في دار المعلمين الابتدائية بالعاصمة وفي ثانوية البصرة قبل حصوله على الدكتوراه وبعد ان نالها عين مدرسا للتاريخ في دار المعلمين العالية ببغداد ولكنه فصل منها بعد عام واحد مع من فصل من الخدمة الرسمية من الاساتذة والمدرسين والمعلمين والطلبة والموظفين بسبب مواقفهم المناوئة- يومذاك- لحلف بغداد والنظام الملكي الحاكم، وبعد ان انهى دورة ضباط الاحتياط العاشرة التي خصصت للمفصولين عام ١٩٥٥م ذهب الى الكويت للتدريس في معاهدها العالية، ولكنه عاد الى الوطن بعد قيام ثورة الرابع شعر من تموز عام ١٩٥٨م ليسهم في الحياة الثقافية والسياسية بشكل فعال وليشغل مناصب عديدة من بينها مدير التعليم العام في وزارة التربية ورئاسة اول نقابة للمعلمين في العراق حيث قام بدور اساسي في تأسيسها، ثم، وزيرا للارشاد، وهو الذي اسس وكالة الانباء العراقية وبدأ اولى محاولات النشر الثقافي على نفقة الدولة، ثم ترك الخدمة الحكومية ليعمل في معاهد البحث العلمي في براغ بتشيكوسلوفاكيا- السابقة- بعد ان امضى فترة سفيرا للعراق في اندونيسيا. وبعد عام ١٩٦٨م عاد الى الوطن ثانية وعين استاذا في كلية التربية بجامعة بغداد وحين دمجت كلية التربية بكلية الاداب شغل منصب استاذ التاريخ فيها، ثم تولى رئاسة قسم التاريخ منتخبا من قبل زملائه الاساتذة ثم ليعمل استاذا مشرفا على رسائل الدكتوراه فمتفرغا للبحث العلمي، حتى حم القضاء، فوافاه الاجل صباح يوم (١٩٨٢/١٢/١٤) بعد ان خلف ثروة (علمية ضخمة) من الكتب والدراسات والمحاضرات والاوراق العلمية، التي تبرهن على طول باعه وسعة معرفته وامكانياته المتميزة في البحث والتقصي والخلق والابداع.

· جريدة الجمهورية ١٩٨٢

ثورة الزنج بين طه حسين وفيصل السامر

رضي السماك

في عام ١٩٤٦،أي بعد سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية، نشر الأديب والمفكر المصري الكبير طه حُسين في مجلة" الكاتب" التي يرأس تحريرها مقالاً تحت عنوان"ثورتان"، وفي هذا المقال تحدث عن ثورتين من أهم الثورات في التاريخين الأوروبي والإسلامي،ألا هما ثورة سبارتكوس في روما التي اندلعت شرارتها في القرن الأول قبل الميلاد (٧١-٧٣ ق.م) وثورة الزنج التي تفجرت في البصرة في القرن التاسع ميلادي(٨٦٩- ٨٨٣م)،وكلتا الثورتين رجالها من العبيد، وتتشابهان في الكثير من الظروف والأفكار والعوامل التي أدت إلى انفجارها على الرغم من أن الفاصل الزمني بينهما زهاء ألف عام، وكلتاهما أيضاً أنتهت بالفشل جراء جملة من الأخطاء الخطيرة. هذه السمات والأفكار المتشابهة بين الثورتين وانتهاء كل منهما إلى الفشل حملت طه حسين على عقد مقارنة تحليلية بينهما، ويمكن القول أنه وُفق إلى حد كبير في تلك المقارنة. على أن مقاله بطبيعة الحال لا يرقى إلى الدراسة المنهجية العلمية الناجزة، وهو ما أعترف به ضمنيا في أحاديث إعلامية، وتُوفي -كما أسلفنا في مقال سابق- دون أن يحقق أمنيته بانجازها إلى جانب مشاريع دراسات أخرى له ظلت معلقة.وبعد نحو ثماني سنوات من مقال طه حسين نشر الباحث العراقي التقدمي فيصل السامر دراسة رصينة له في كتاب بعنوان " ثورة الزنج" وصدرت طبعته الأولى ١٩٥٤،حيث يصادف هذا العام مرور ٨٠ عاماً على صدورها،ثم توالت مرات طبعات الكتاب في بغداد بتوالي العقود. واللافت ثمة إشارة إلى إحدى طبعاته بأنها تمت بدعم من جامعة بغداد. ولعل آخر طبعة صدرت لها تحمل الإشارة إلى أنها "الطبعة الثالثة" وقد صدرت عام ٢٠١٣ عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد. وبين يدي الطبعة الثانية من إصدار دار المدى عام ٢٠٠٠.ومع أن طه حسين سبق السامر في الحديث عن ثورة الزنج، إلا أنه لا يتضح من مصادر هذا الأخير عما إذا قرأ مقاله أنف الذكر، وفي المقابل لم نجد أيضاً بين كتب وأحاديث طه حسين بعدئذ حتى رحيله عن عالمنا ما يوحي بأنه أطلع على دراسة السامر، علماً بأن دراسة هذا الأخير قدمت في الأصل كدراسة لنيل الماجستير من جامعة فؤاد الأول(القاهرة حالياً)، وكان عنوانها الأصلي" ثورة الزنج وأثرها في تاريخ الدولة العباسية" لكنه لم يشر إلى تاريخ تقديمه هذه الدراسة إلى تلك الجامعة، وهذا ما لفت الكاتب العراقي كاظم شكيب إليه في مقال له في صحيفة"المدى" الصادرة في ١٥ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٩، كما يشير الكاتب سعيد عنان في "طريق الشعب" الصادرة في ١٤ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٣ إلى أن السامر نال درجة الدكتوراه أيضا من مصر عن موضوع تاريخ قيام الدول كالدولة الحمدانية في الموصل وحلب" .

فهل سمع يا تُرى طه حسين بدراسة الماجستير التي قدمها السامر لجامعة فؤاد الأول قبل نشر مقاله عن ثورة الزنج بمجلة الكاتب» سيما وأنه ظل كأستاذ جامعي ثم عميداً لكلية الآداب،نقول ظل على متابعة- كما يُفترض- بما يُقدّم من دراسات عليا طلابية فيها،فما بالنا بدراسة سبقَ له الحديث عن موضوعها باستفاضة. هذه من الأمور التي لم نعرفها حتى الآن، بل لم يصرح عنها حسين نفسه. ومع أن " ثورة الزنج" ظلت موضع اهتمام العديد من الباحثين العرب، والعراقيين منهم بوجه خاص، لكن قد لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أن دراسة السامر هي الأهم والأكثر ريادية من بين كل الدراسات التي صدرت حتى الآن، إذ توخى فيها الباحث أكبر قدر ممكن من الموضوعية والأمانة التاريخية والدقة، بعيداً عن الانحياز الأعمى المتعصب أو التحامل على الثورة برمتها وتجريدها من أي إيجابيات، كما فعل أغلب المؤرخين التقليديين العرب الذين رموها-اعتباطيا- وقائدها صاحب الزنج علي بن محمد بالكفر والزندقة مسايرين في ذلك هوى خامديها، في حين كانت من الثورات التي تنشد العدالة والمساواة ولها مسبباتها الاجتماعية الموضوعية الوجيهة. وكانت دراسة السامر الأصلية ضخمة، إلا أنه حذف كثيراً من التفاصيل غير الجوهرية، على حد تعبيره في هامش صفحة التصدير(ص٧) في النسخة التي بين أيدينا.

وإذا كان الباحث السامر لا يخفي منهجية بحثه اليسارية في دراسة وتقييم ثورة الزنج، فإن أهمية ما أشاره طه حسين في حديثه المسهب عن موضوعها باستفاضة. هذه من الأمور التي لم نعرفها حتى الآن، بل لم يصرح عنها حسين نفسه. ومع أن " ثورة الزنج" ظلت موضع اهتمام العديد من الباحثين العرب، والعراقيين منهم بوجه خاص، لكن قد لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أن دراسة السامر هي الأهم والأكثر

ثورة الزنج في البصرة، فنقل عنها بانحياز مفضوح الى جانب السلطة، أما لغته فتدثّت إلى حضيض الشتم الرخيص فأطلق على قائدها لقب (الخبيث)، ورده حتى صار علماً له أغناه عن التصريح باسمه.

نتساءل هنا عن الدافع، وسر هذا التحول فنجده انه كان معاصراً لثورة الزنج، وحيث كان الطبري مقيماً في بغداد، ولابد ان الرجل كان مدركاً لخطر الثورة على مصالح الطبقة التي ينتسب إليها – طبقة الأشراف والسادة مالكي العبيد – فكان من الصعب أن يقف منها موقف المتفرج، وهو بذلك يسجل موقفين، فيلتزم نوعاً من الحياد تجاه القضايا التي لا تربطها رابطة مباشرة بوضعه الاجتماعي، وان تكن من قبيل استباحة المدينة واحراق الكعبة، ثم يواجه مشكلة تمسّ مصالح طبقته في الصميم فيتخلى عن (حياده) ويصير طرفاً مهرجاً فيها.

وهكذا فان دراسة التاريخ الاسلامي بموضوعية كافية ينبغي توفر طقس معتدل يحافظ فيه الباحث على اتزانه، وان كان هذا المطلب عسيراً على المتحزبين فهو بالنسبة للكاتب المنهجي لا يعني أكثر من تحصين نفسه من ردود الفعل، بناءً على تجنب الامتدادات الايديولوجية والعصبية القبلية والدينية لدراسة التاريخ في اطار مرحلته الخاصة مما يوفر للباحثين فرص الحيادية لا تتوفر لغيرهم.

هذا ما فعله السامر في ثورة الزنج إذ وضع أفكاره جانباً، ودرس الحركة بحيادية العلم ونزاهته، وقدّم كتاباً متوازناً بعقلية المؤرخ النزيه.

من الجدير ذكره ان كتاب (ثورة الزنج) للمؤرخ فيصل السامر(١٩٢٦- ١٩٨٣) هو في الأصل بحث لدراسة الماجستير من جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) عام ١٩٥٢، وصدر في بغداد بطبعته الاولى عام ١٩٥٤، ثم نشر بطبعات متعددة.

فيصل السامر.. تحولات الوعي في كتابة التاريخ

د. جمال العتابي

صدور كتاب (ثورة الزنج) في خمسينات القرن الماضي لمؤلفه الدكتور فيصل السامر يعدّ منعطفاً كبيراً في كتابة التاريخ الاسلامي، إذ قدّم السامر دراسة منصفة لحركة لم ينصفها المؤرخون بعد، وكان يبدو صعباً انصافها لأن قروناً من التاريخ (الرسمي) تواطأت على ادانتها، وقالت فيها ما لم يقل الإمام مالك في الخمرة.

أجل امتدت يد بارعة إلى الأكداس المتراكمة من وثائق (الادانة) لحركة الزنج فغربلها، وكما تنمو الحياة نمت الحقائق التي خشينا يوماً أن تكون قد ضاعت إلى الأبد فإذا به يضع كل شيء في نصابه ويعطي لله ما لله وما لقيصر لقيصر.

وفي بحث كهذا يكشف صاحبه القناع عن الحقيقة يتوجس المرء أن يندفع الباحث في تعصب مضاد، والحق ان فيصل السامر في كتابه هذا شخّص محاسن الحركة وعيوبها مسرودة بأمانة علمية محمودة وبموضوعية وحيادية ينـدر أن نجدها عند بعض المؤرخين، إذ استطاع أن يشذّب ما علق بأسبابها من دعاوى زائفة، فأخذ على عاتقه البحث في ثورة الزنج ليقيم الدليل على امكانية كتابة التاريخ بأسلوب جديد يعير الحركات الاجتماعية أهمية كبيرة بمنظار جديد.

كانت الحركة انتفاضة العبيد المظلومين الذين التقت احلامهم بطموح رجل مؤهل للقيادة هو محمد بن علي.

لم تكن الحركة برأينا مؤهلة تاريخياً لحل قضية المظلومين في ظل النظام الاقطاعي السائد والمهيمن. الذي جلب الآلاف من الأيدي العاملة الرخيصة من شرق أفريقيا لاستصلاح الأراضي الاقطاعية في البصرة، كان هؤلاء يعيشون حياة بائسة وقاسية، في ظروف عمل شاقة جدا، وكان الملاكون ووكلاؤهم يسومون الزنج سوء العذاب، كانوا مهيأين ان يكونوا وقود ثورة لا تحتاج إلا عود كبريت لإشعالها. فظهر فيهم (علي بن محمد) رجلاً طموحاً، ذكياً وموهوباً، بدأ حياته شاعراً في بلاط الخليفة العباسي في العاصمة سامراء، ثم أغوته حياة الخلفاء والقصور الى الطموح السياسي لتكون حافزاً ان يتخذ من (العبيد) جنداً لحركته الثورية في ٢٥٥ هجرية، وأثبت انه قائد عسكري بارع، استطاع خلال عشرة أعوام من السيطرة على رقعة جغرافية واسعة تمتد من الاهوار والأبلّة والبصرة وعبادان الى واسط ومشارف المدائن.

إلا ان الحركة شهدت نهايتها في مقتل زعيمها عام ٢٧٠ هجرية، واستسلام من بقي من اتباعه في ظروف قتالية غير متكافئة.

يمضي السامر الى القول ان قائد الثورة تعرض الى أشد الطعون، فسمي بدعي آل البيت لأنه نسب نفسه لهم، ومهما كان من وراء قصده وثورته فان هذا لا يضعف حق أوائك الناس في ثورتهم، ولا يشرع استعبادهم.

والحقيقة ان اسباب الثورة تعود الى الخلافة العباسية كانت غارقة في الفساد والظلم الذي طال جميع الأقوام والفئات الاجتماعية، ولم يكن (السود) وحدهم من تعرض للقهر الاجتماعي، بل كان عاماً وشاملاً، فتعرضت الخلافة الى تحديات كبيرة تمثلت بالثورات والانتفاضات وحالات التمرد التي هددت كيان الدولة وأربكت سلطتها إذ أوشك الثوار أن يسقطوا الخلافة في بغداد بعد أن وصلت طلائعهم الى مقربة من مدينة العزيزية على بعد ٧٠ كم من العاصمة العباسية.

ان الدراسة التي قدمها فيصل السامر عن ثورة الزنج تثير أسئلة عديدة حول كتابة التاريخ وقراءة التراث ومحاولات التزييف التي مارستها الطبقات السائدة كحرفة مارستها باستمرار لمعارضة الحقيقة الموضوعية، واستطيع أن أورد هنا مثلاً مستمداً من تاريخ الطبري، وهو مؤرخ كبير يتمتع بقدر من النزاهة، ذكر أخباراً متضاربة من دون أن يبدي فيها رأياً، وانما اكتفى بالإحالة على السند وتخريج الخبر من وجوهه المختلفة، ولغة الطبري مهذبة وموضوعية، ومع انه كان فقيهاً وصاحب مذهب في أصول الدين وفروعه فان طريقته في تسجيل الحوادث لم تتأثر كثيراً بعاطفته الشخصية من هذه الزاوية، وقد احتفظت لغته بوقارها في أشد الفصول حراجة مثل مقتل عثمان وواقعة كربلاء واستباحة المدينة ورمي الكعبة بالمنجنيق واحراقها، ومعارك المسلمين مع بعضهم، ولكننا نفاجأ بتبدل كلي في سلوك المؤرخ عند احداث

فيصل السامر كما عرفته

نجيب محيي الدين

أجد لزاما علي أن أحيي فيكم تقديركم ووفاءكم لاستذاركم لإبن بار من أبناء وطننا العراق، فنذر نفسه له وللثقافة و الديموقراطية فيه، فكان رمزاً من رموزه الناصفة. لقد ارتبطت به فكرياً و سياساً و شخصياً على مدى ثلاثة عقود تقريباً، لم نفترق خلالها الا لبضع سنوات فرضتها الغربة عليه بعد انقلاب ٨ شباط الدموي المعروف،

فعرفته حقا... انساناً بانسانية عذبة سامية ووطنياً مخلصاً غيوراً، حيث تتجلى وطنيته في حبه للمواطنين و احترامه لهم. ومثقفاً عالماً في مجال اختصاصه ومتميزاً بصفات العلماء وتواضعهم، مع جرأة في فهم التراث وقدرة عالية على الانفتاح و التعامل بوعي مع المرحلة التي عاشَ خلالها فاستوعبها فكان من الرواد الذين لم يخذلوا الفكر ولم يخذلوا التراث، و يتمثل ذلك في كتابه المشهور ((ثورة الزنج)) اولاً ثم في كل كتاباته الاخرى، حيث تجلى فيها ايمانه بكل جوانب الفكر الديموقراطي وما يبغي اليه هذا الفكر وما يتصف به، من توجه لتحقيق العدالة الاجتماعية وسعي وراء الحقيقة و تحرر فكري بعيداً من كل أنواع الانغلاق والتعصب. لقد عرفته بهذه الصفات وبغيرها من الصفات العلمية و الانسانية الجليلة التي يحملها منذ بدء تعارفنا في أوائل عقد الخمسينيات الماضي عبر لقاءاتنا في مجلة ((الثقافة الجديدة)) ثم ما كان من أمر فصلنا من الخدمة الوظيفية في عام ١٩٥٤ لأسباب سياسية تتعلق بموقفنا الرافض و المعارض لسياسة الحكم الملكي، ثم مواصلتنا، مع زملاء و اصدقاء آخرين، الاهتمام بشؤون الوطن و الثقافة في العراق بالعمل ضمن اطار جبهة الاتحاد الوطني التي تشكلت عام ١٩٥٧ من جميع الاحزاب السياسية الوطنية القائمة آنذاك، بالاضافة الى نشاطنا للدعوة لتأسيس نقابة المعلمين.

وحين قامت ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وقع الاختيار عليه ليكون مديراً عاماً للتعليم في وزارة المعارف (التربية) و اختارني هو لأعمل معه مديراً للتعليم الابتدائي فعرفت خلال عملنا المشترك مدى اخلاصه واستقامته في العمل وبفكره التنويري في مجال مناهج التربية و التعليم وطرق التدريس. والى جانب ذلك واصلنا الدعوة و العمل من اجل تأسيس نقابة مركزية للمعلمين مع زملاء اخرين يؤمنون بأهمية العمل النقابي نظراً لأهمية دور المعلم في اعداد المواطن الصالح وفي تحقيق النتائج المرجوة من العملية التعلمية و التربوية وما يترتب على ذلك من توفير الظروف المناسبة لأداء مهامه اجتماعيا واقتصادياً وضمان حقوقه الوظيفية و حمايته من الاجراءات الادارية التعسفية التي قد يتعرض لها، فكان المرحوم فيصل ناشطاً متميزاً و اسفرت الجهود عن تأسيس النقابة و انتخبه المؤتمر الاول نقيباً للمعلمين بالاجماع و استطاعت خلال فترة توليه هذا المنصب تحقيق الكثير من الانجازات و المكاسب التي تحمي حقوق المعلمين وترفع من مستوياتهمً و قدراتهم. ولم تمض الا بضعة اشهر حتى اختير ليكون وزيراً للارشاد (الثقافة والاعلام) فعمل جاهداً لتأسيس الفرقة السمفونية الوطنية وفرقة الاوركستر للموسيقى الشرقية ووكالة الانباء العراقية وتطوير برامج الاذاعة و التلفزيون بكافة لغات القوميات المكونة للشعب العراقي ومنها مد ساعات البث الاذاعي باللغات الكردية و التركمانية التي كانت محددة ببضع ساعات فقط. وخلال فترة لجوئه الى "جيكوسلوفاكيا" بعد انقلاب ٨ شباط تم تعيينه استاذاً في قسم الدراسات الشرقية بجامعة "براغ" وهي من أقدم و اشهر الجامعات الاوربية، نظراً لسمعته ومكانته العلمية لدى الأوساط الاكاديمية التي تعنى بدراسة التاريخ العربي و الاسلامي وحين عاد الى الوطن في أوائل السبعينيات الماضيات اصبح استاذاً للتاريخ الاسلامي بكلية الاداب.جامعة بغداد فأشرف على عدد من الدراسات المتميزة لنيل شهادات الدكتوراه و الماجستير. ويشهد له كل زملائه وطلابه، وهم كثيرون، بمدى غزارة علمه وسمو خلقه وحرصه على مساعدتهم وافادتهم حتى وافته المنية بعد صراع مرير مع المرض الذي تحمل آلامه بصبر جميل و إباء عال. كنت ازداد حباً وتقديراً له، وثقة واعجاباً به كلما كانت تمر الايام فازداد قرباً منه، لقد تعلمت منه الكثير وكان قدوة لي في كثير من المواقف. الرحمة و الرضوان لروحه الطاهرة وستظل أراؤه و مواقفه موضع التقدير و الاعتزاز لدى المثقفين و الغيارى من اهلنا في العراق، ويبقى فيصل السامر علماً ثقافياً ومعلماً واستاذاً بارزاً وانساناً فاضلاً وسياسياً وطنياً ومديموقراطياً حقاً.

٥٠ كلمة القيت في حفل تأبين فيصل السامر عام ١٩٨٣

فيصل السامر العراقي الذي رفض الجنسية الاجنبية

محسن حسين

من بين العراقيين القلائل الذين رفضوا عرضا بمنحهم الجنسية من دولة اخرى الدكتور فيصل السامر الذي مرت امس ١٤ كانون الاول ذكرى وفاته عام ١٩٨٢.

فيصل السامر الذي تولى منصب وزير الارشاد في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم كان سفيرا للعراق في اندونيسيا وماليزيا عندما قتل الزعيم اثر احداث ٨ شباط ١٩٦٣ فاستقال وذهب الى (جيكوسلوفاكيا) السابقة وحينذاك أسقطت الحكومة الجنسية والجواز عنه وعن أفراد أسرته فعرضت عليه الحكومة التشيكية جنسيتها له ولاسرته، فاعتذر عن قبولها متمسكا بعراقيته.

عرفت الدكتور السامر شخصيا بعد توليه الوزارة واشهد انه ساهم بحكم منصبه مساهمة كبيرة في تاسيس وكالة الانباء العراقية التي كان لي الشرف ان اكون واحد من ثلاثة وضعوا اللبنة الاولى للوكالة عام ١٩٥٩.

واعتقد ان السامر هو الذي اختارنا انا والمرحوم حميد رشيد وبعد فترة المرحوم احمد قطان لتؤسس نواة الوكالة وكان يتابع عملنا ويتصل بنا لحل اي مشكلة تواجه الوليد الجديد في عالم الصحافة العراقية معتمدا علينا دون التوجه لاستيراد خبرة عربية او اجنبية.

وللتذكير بشخصية فيصل السامر اذكر انه من البصرة، ولد عام ١٩٢٤ درس في كلية الاداب نال البكالوريوس (١٩٤٧)، والماجستير (١٩٥٠) من بجامعة القاهرة وكانت رسالته بعنوان "حركة الزنج" .

وفي سنة ١٩٥٣ اكمل الدكتوراه من الجامعة ذاتها وكانت رسالته بعنوان: "الدولة الحمدانية في الموصل وحلب" وعمل استاذاً ورئيساً لقسم التأريخ بكلية الأداب / جامعة بغداد مطلع السبعينات من القرن العشرين. اتجه الى العمل السياسي وكان يسارياً وتقدمياً في تفكيره وتوجهه، وكان أحد مؤسسي مجلة "الثقافة الجديدة" عام ١٩٥٣.

في بداية الخمسينيات ، أيضاً، أسهم بفاعلية في حركة السلم التي انطلقت آنذاك، وحضر مؤتمرها السري الاول عام ١٩٥٤، وفي العام نفسه اصبح مرشح الجبهة الوطنية الانتخابية عن البصرة الى البرلمان، لكن مواقفة المناوئة للحكم الملكي أدت الى ان يفصل من الخدمة الحكومية مع عدد من زملائه دخل دورة ضباط الاحتياط العاشرة التي خصصت للمفصولين سنة ١٩٥٥، وبعد تسريحه اضطر للسفر الى الكويت للتدريس في بعض معاهدها التعليمية ولم يعد الى العراق الا بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨، أذ نولى مناصب عديدة منها (مدير التعليم العام) وهو من الداعين لتأسيس نقابة للمعلمين، ولما تشكلت أول نقابة بعد ١٤ تموز ١٩٥٨، صار أول رئيس لها.

وفي سنة ١٩٥٩ اختاره عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة رئيس الوزراء، وزيراً للارشاد (الاعلام)... وخلال فترة توليه الوزارة اسس وكالة الانباء العراقية، والفرقة السمفونية، ودار الاوبرا.

يحق لنا نحن ابناء واع ان نستذكر حياة الرجل الوطني وبشكل خاص تمسكه بعراقيته رغم الظروف التي مر بها رافضا الجنسية الاجنبية التي اصبحت من مؤهلات الحكام في العراق الجديد بعد الاحتلال الامريكي.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:
www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فيصل السامر: مستودع التجربة البشرية

سعيد عدنان

في يوم من مطالع شتاء ١٩٨٢، قال لي صديقي محمّد كريم إبراهيم، ونحن في كليّة الآداب، في ممرّ قسم التاريخ، قبالة مكتبة الدراسات العليا: ما رأيُكَ أن نزور أستاذنا فيصل السامر؛ فقد ثقُل به المرض؟ قلت: يسرّني!

كنتُ أرى فيصل السامر، في تلك الأيّام، في أروقة قسم التاريخ، شاحبَ الوجه، وئيدَ الخطا؛ قد أخذت منه العلّةُ مأخذها؛ لكنّ مرآه ذاك لم ينل من صورة قديمة، قويّة، واضحة المعالم، ائتلفتْ عناصرها شيئاً إلى شيء، وتماسكت أركانها ركناً بركن.

كانت حياته قد بدأت في البصرة، في سنة ١٩٢٥، في أسرة كريمة من وجوه الناس؛ فنشأ قويمَ البناء، بفطرة سليمة، تُدنيه من موارد الخير، وتنأى به عن مواضع السوء، مقبلاً على الدرس والتزوّد من المعرفة؛ حتّى إذا أتمّ خطواته الأولى في البصرة، قصد بغداد ليتمّ الدراسة الثانويّة فيها، ثمّ قصد مصر ليُتمّ الدراسة الجامعيّة؛ وقد عرفت مقاعدُ الدرس فيه طالباً نابهاً، يقظَ الفؤاد؛ يقرأ، ويستوعبُ، ويتساءل، ويريد أن تتّصل المعرفةُ بحياة الناس، وأن تزيدهم بصيرة بما هم فيه. وإذ حان أوانُ اختيار ميدان الدراسة في الجامعة اختار "التاريخ"؛ ذلك أنّه مستودعُ التجربة البشريّة، بخيرها وشرّها، بسموّها وبضعتها! واختار منه التاريخ العربيّ الإسلاميّ، ومضى من هذا التاريخ الزاخر اللَجِب إلى الحركات الاجتماعيّة؛ إذ كان يرى أنّ التاريخ لايتمّ إلّا بالوقوف على المجتمع وما يضطرب فيه من فكر وصراع، وأنّ قصر العناية على جانب الحرب والقتال، وقيام الدول وسقوطها؛ أمرٌ مخلّ، يُغفل جوانب خطيرة من حياة الناس. ومن أجل أن تتكاملَ أبعادُ التاريخ، وأن تظهرَ حوادثُ المجتمع إلى جوار حوادث السياسة؛ اتّجه بدراسته نحو الحركات الاجتماعيّة، وتناول منها حركة الزنج في العصر العبّاسيّ، وأثرها في تاريخ الدولة. وهو أوّل من كتب عنها، وبسط القول في شأنها، ولمّ أشتاتَها من كتب التاريخ والأدب، ووقف على دوافعها، فأنشأ لها تاريخاً واضح المعالم. وحين أصدر دراسته في كتاب، في سنة ١٩٥٤، جعل عنوانه: "ثورة الزنج"، وأهداه: "إلى الباحثين عن الحقيقة، العاملين على إظهارها، الهادفين نحو إخراجها إلى مجال العمل."

وليس قليلاً أن تُسمّى حركةُ الزنج "ثورةً" في بلد كالعراق نظامُ الحكم فيه ملكيٌّ يخشى "الثورة" وما يتّصل بها؛ لكنّ السامر كان صادقاً جريئاً يأبى الظلم حيثما وقع، وينبّه على سوء عواقبه، ويشترع طريقاً في دفعه، ويسعى لإقامة العدل. ولعلّه، وهو يكتب عن الزنج في البصرة في القرن الثالث الهجريّ وعن ظُلامتهم، لم يكن خالي الذهن والروح ممّا يلقاه عراقيّون يعرفهم في أرياف البلد وقُراه!

نال شهادة الماجستير بحركة الزنج، ثمّ عاد إلى مصر ليُحرز الدكتوراه في تاريخ قيام الدول، ودواعيه الموجبة فكتب "الدولة الحمدانيّة في الموصل وحلب"؛ فتكاملت في نهجه مناحي التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ، واتّضحت له رؤيةُ الحوادث؛ في أسبابها ونتائجها، وفي ما يُحيط بها من جوّ، وما يكمن خلفها من فكر.

وإذ عاد إلى بغداد، وأخذ يعمل في دار المعلمين العالية كان ثقيلاً على السلطة، على هدوئه ودماثة خلقه. وكانت السلطة القائمة يومئذ، في العهد الملكيّ، تعرف فيه رجلاً ذا فكر يناهض ما هي عليه؛ فكان أن فُصل من العمل، مع أمثاله ممّن كان يُنبّه على المفاسد، وسيق إلى الجيش. غير أنّ ذلك لم يفتّ في عضُده، ولم يصرفه عمّا رسم نفسَه له. حتّى إذا قامت الجمهوريّة، في سنة ١٩٥٨، رجع إلى عمله، وهو على نهجه من وضوح الفكر واستقامته؛ فتولّى منصبَ مدير التعليم العام في وزارة المعارف، وعمل، مع غيره، على إنشاء نقابة للمعلمين؛ تكون صوتَهم، وتحفظ حقّهم؛ فأُنشئت، وكان أوّل نقيب لها. ثمّ أُسندت إليه وزارة الإرشاد في ٧ – ٧ – ١٩٥٩، وكان من صنعه فيها أن أنشأ وكالة الأنباء العراقيّة. بقي في الوزارة حتّى أيار ١٩٦١، ثمّ استعفى منها، وذهب وزيراً مفوّضاً في إندونيسيا وماليزيا من سنة ١٩٦١ حتّى شهر شباط ١٩٦٣.

كان فيصل السامر من رجال العهد الجُمهوريّ الأوّل، بالفكر والممارسة، فلمّا ذهب العهدُ وقع عليه ما وقع على الآخرين من أمثاله؛ فأُقصي من منصبه، وأُسقطت "جنسيّته"، وحيل بينه وبين بلده؛ فصار إلى "براغ" مع من صار إليها. وهناك، في براغ، استأنف عملاً جديداً، هو في الصميم ممّا اقتضته الحال القائمة، يومئذ، في العراق؛ ذلك هو قيام "حركة الدفاع عن الشعب العراقيّ" برئاسة محمّد مهدي الجواهريّ؛ إذ كان للسامر فيها مكان رفيع، لصدقه وإخلاصه وجرأته الهادئة، ولنزاهته عمّا يشين؛ حتّى كان الجواهريّ، من بعدُ، في ذكرياته لا يذكر فيصل السامر، في هذا المورد، إلّا بالتقدير والاعتزاز.

ومضى به زمنُ الغربة وهو متماسك البناء، ماضي الإرادة، يعمل من أجل بلده عملاً صادقاً بريئاً ممّا يشوب؛ حتّى إذا هدأ البلد، وقرّ قراره بنحو ما، وصار متاحاً له أن يرجع؛ رجع وفي عزمه أن ينصرف إلى الدرس والتأليف، وإلى الجامعة بكلّ ما تقتضيه؛ فكتب: "العرب والحضارة الأوربيّة" وكان أوّل كتاب يُنشر في الموسوعة الصغيرة، في سنة ١٩٧٧. وكتب "الأصول التاريخيّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة في الشرق الأقصى" ونُشر في بغداد في سنة ١٩٧٧، وكأنّه ممّا استوحاه في إندونيسيا وماليزيا يوم كان هناك. ووضع كتاباً عن ابن الأثير المؤرّخ نُشر في سنة ١٩٨٣.

وهو في كلّ ما كتب يُعنى بالفكر؛ يقف عنده حين يكون صريحاً واضحاً، ويستنبطه من الحوادث حين يكون خفيّاً كامناً فيها، ويفسّر الوقائع بما يحيط بها، ويجعلها في سلسلة من الأسباب والنتائج.

وكتابته فصيحةٌ مبينةٌ بعيدةٌ عن المغالطة؛ إذ يُورد الأفكار مترابطةً يُفضي بعضُها إلى بعض حتّى يتكامل ما يذهب إليه.

تلك كانت صورته القويّة الواضحة، ولن يمسك الذهن بغيرها!

كان بيته قريباً من كليّة الآداب؛ في الوزيريّة، في شارع يقابل المكتبة المركزيّة، وكنّا عند بابه؛ ظهرتْ سيّدةٌ من الدار، وقالت: لقد ذهب قبل أيّام إلى لندن لاستكمال علاجه. خالجنا شعور أنّا لن نراه من بعدُ؛ فلم تمضِ إلّا أيّام قليلة حتّى جاء النبأ أنّه مات هناك...!

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون